

II. أسباب تدني مستوى تلاميذ المدرسة العمومية

تدني مستوى تعليم تلاميذ المدرسة العمومية أصبح باعتراف الوزارة نفسها , تحصيل حاصل لا جدال فيه . و مجرد الكلام عن تدني مستوى التلاميذ يعني أنه كان عاليا . و لا ندري بالضبط متى بدأ انعطافه نحو الأسفل و لا ندري كذلك بالضبط الإجراءات التي تسببت فيه . في هذا الموضوع هناك على الأقل ثلاث فرضيات تروج بين عموم الناس من دون أي دليل ملموس على أي منها . فهي مجرد تخمينات تُستشف من الحديث عن الموضوع من دون عثور على نصوص مكتوبة في هذا الأمر . و نعرض هنا هذه الفرضيات الثلاث فقط من أجل استفار البحث العلمي في الموضوع.

1. فرضية إنصاف فئة ضعاف التلاميذ.

في رأينا المتواضع كثرة التغيرات في البرامج توحى بقوة إلى احتمال صحة هذه الفرضية . توحى بأن المسؤولين عمدوا بتدرج و طيلة عقدين من الزمن إلى إقرار بيداغوجية السير بكل التلاميذ سير ضعافهم إنصافا لهذه الفئة , بدلا من بيداغوجية كانت متحيزة في مستوى مضامين موادها و منهجيتها لفئتي المتوسطين و المتفوقين من التلاميذ على حساب محدودي المؤهلات الذهنية منهم . و هكذا و بحسب هذه الفرضية القوية الاحتمال, يكون قد حصل تسطيح مستوى كل التلاميذ من الأسفل بحسن نية, و لكن مع الأسف الشديد, من دون تقييم للنتائج و لا مراجعة على ضوءها للتصحيح. و هذا جد ممكن بسبب غياب مساطر مساءلة و محاسبة المتنفذين في مثل هذا القطاع العام عن مردودية و نتائج تدبيرهم له.

2. فرضية حمى الإفراط في تأطير الأستاذ و التلميذ

بالفعل عرف و لا يزال يعرف تعليمنا فضول و حمى العطف الزائد من طرف الأكاديميين و "الخبراء" في علوم التربية و علم النفس, انتهت باعتماد مراجع تربوية و كتب مدرسية جد مبالغة في التبسيط و في استصغار المؤهلات الذهنية و القدرات العقلية لتلاميذ المدرسة الابتدائية. و بهذه المراجع أفرغ التعليم الابتدائي من محتواه, فكان من تداعياتها تسطيح مستوى كل التلاميذ من الأسفل كتحصيل حاصل, و لكن و بحسن نية و مع الأسف الشديد و دائما, من دون متابعة و لا تقييم للنتائج و لا مراجعة القرارات المتخذة للتصحيح عل ضوء مثل هذا التقييم.

3. فرضية تعمد إفشال المدرسة العمومية لأغراض سياسية.

و هذه هي الفرضية الأكثر رواجاً بين الناس . و ليس معنى ذلك أنها صحيحة . فنحن هنا لا نصدق و لا نكذب أصحابها لأن الحسم في ذلك يحتاج إلى بحوث علمية من أجل إثبات أو نفي صحتها . و من تلك الأغراض السياسية بزعم بعض الناس ما يلي :

أ) تفادي استمرار و تكرار أزمة حاملي الشواهد المعطلين.

ب) تخفيف عبء نفقات التعليم العمومي بتشجيع الإقبال على التعليم الحر.

ج) حرمان المعارضة الثورية تجنيد و تجرّيش الفئات المتعلمة.

أصحاب هذه الفرضية يدّعون بأن جل النظم السياسية بالعالم الثالث وجدت استقرارها مهدداً, في ظل الحرب الباردة, بفعل توفر الفئات المتعلمة من بين شعوبها . و بحسب زعمهم دائماً, كان من بين الشباب المتعلم من يقرأ و يسمع للمعارضة الثورية من كل الاتجاهات, فينظم إلى صفوفها. و بفضل البرامج التعليمية المتميزة كانت تجد نفس المعارضة في رجال التعليم جيشاً من المنقذين المقتنع بخطابها و الذين يروجون لها في صفوف التلاميذ و الطلبة . أما الشباب الأمي الغير

متمدرس أو الفاشل في الدراسة, فلا يقرأ و لا يفهم ما يسمع من المعارضة, فتقل عنده الاستجابة لتجنيده في صفوفها. و عنده علاوة على ذلك "ميزة" قوة التحمل و الرضى بوضعه و بالوضع القائم مهما كانت ظروف معيشتة.

و بزعم أصحاب هذه النظرية دائما , فمن شأن هزلة البرامج في نظر تلك الأنظمة, ليس فقط إفشال المدرسة و إنما تسطيح ثقافة رجال التعليم كذلك , فيقل بذلك احتمال استعمالهم من طرف المعارضة الثورية كعصا تضرب بها النظام القائم . كل هذه العوامل في نظر أصحاب هذه النظرية, من شأنها أن تجعل مثل هذه الأنظمة المهتدة في استقرارها ترى في التعليم مجرد شر لا بد منه , و ترى أنه من مصلحتها إفشاله , إن بفعل مقصود منها أو بمجرد إهمال وضعه المتردي بسبب سياسة لم يكن المقصود منها في الأصل إفشاله. و من أصحاب هذه الفرضية من يذهب إلى حد اتهام حتى فرنسا بنفس السياسة ضد تعليمها العمومي الجيد من بعد ما عاشته من قلاقل ثورية خطيرة على القيم في ماي 1968. و فرنسا كالمغرب يشكو الناس فيها من ضعف جودة التعليم العمومي في مقابل تعليم حر مزدهر بالاستفادة من فشل المدرسة العمومية. و التعليم الحر المؤدى عن خدماته هو بالفعل خاصية تنفرد بها فرنسا من بين كل الدول الأوروبية.

و من دواعي التحفظ على هذه الفرضية الأخيرة بالمغرب , جهود الدولة القوية من أجل إصلاح التعليم على الأقل في العهد الجديد . فهذا القطاع ظل في هذا العهد من الأوليات و الأوراش الكبرى بالبلاد , و التي تولد عنها الميثاق الوطني للتربية و التكوين مع عشرية الإصلاح المشفوعة بمنتديات الإصلاح السنوية بكل ربوع الوطن. و نُصّب من أجل نفس الغرض المجلس الأعلى للتعليم الذي نشر أول تقرير له برسم سنة 2008, يشخص فيه واقع التعليم اليوم من دون أية محاباة.

و المطلوب اليوم رسميا من كل من له ما يقوله في هذا المجال أن يدلي به كمساهمة منه في الجهود المبذولة على كل المستويات من أجل إنقاذ ما يمكن إنقاذه . و من واجبنا إحسان الظن بالنوايا المعلنة من طرف كل المسؤولين بدلا من التشبث بأية فرضية مثبثة للعزائم و لا حجة دامغة على صحتها . بهذه النية و بفعل الغيرة على مصالح هذا الوطن يطيب لنا و يشرفنا المساهمة هنا بهذا العرض المتواضع. و مع ترجيحنا للفرضية الثانية أعلاه, كسبب لتدني مستوى تلاميذ المدرسة العمومية من دون حجة ملموسة على صحتها, لا يهمننا في هذا البحث تحميل المسؤولية لأحد بقدر ما يهمننا البحث عن السبل المؤدية لاسترجاع المدرسة لعمومية لريادتها و لمصداقيتها من أجل خير البلاد و العباد.

[كتابة تعليق](#) | [الرجوع إلى الصفحة الرئيسية....](#)